فتح الأندلس

تأليف

فؤاد الخطيب

الطبعة الثانية

سنة ١٣٥٠ هجرية — ١٩٣١ ميلادية

مطبعة ابن زيدون بدمشق



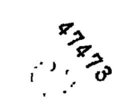
تأليف

فؤاد الخطيب

الطبعة الثانية

سنة ١٣٥٠ هجرية — ١٩٣١ ميلادية

مطبعة ابن زيدون بدمشق



رواية فتح الاندلس

تفضل علينا نابغة الزمان ، وحامل لواء البيان ، شاعر القطرين خليل بك مطران بالكلمة الرائعة التالية قال حفظه الله :

اذا عدّت الحوادث الكبرى في التاريخ عدّ منها فتح العرب للاندلس

بلاد طيبة الموقع خصيبة التربة كأن المزايا التي خصتها الطبيعة بها اغرت بها الغرباء من أقدم زمن فيممها الفينيقيون متجرين وأقاموا فيها ردحاً من الدهر ثم توافد اليها الاغريقيون الاسيويون ينافسونهم في استدرار خيراتها ثم توالى عليها الغزاة من القرطاجيين ومن الرومان في عقبهم حتى اذا تقلص عنها ظل دولتهم انتابتها غارات المجتاحين من سلاف وتتار وجرمان وفي النهاية استتب الامر للقوط في جانب واسع منها الى ان تكونت من تلك الاخلاط امة لها فضائلها ولها بجانب ذلك نقائص جسام متولدة في الاكثر من عدم تجانسها

فتأتّي عليها حقبة من الزمن تتغلب فيها عوامل الفساد على عوامل الاصلاح تغلباً شديداً حتى لتستصرخ فئة من اهلها على فئة اخرى باغية ، اناساً حالين بجوارها من جانب افريقية يلي امرهم عامل عربي لخليفة كرسيه دمشق ومركز بطشه بعيد عنها بعداً شاسعاً . فيجوز البحر اليها جيش معقود لواؤه بامر موسى بن نصير لطارق بن زياد يُنزله في سفح الجبل الذي يسمى باسمه بعد ذلك الى اليوم . فيستكشف مواضع الضعف من تلك الامة ويستطلع طلع ثغورها وعلى اثر تمهيده

بالرأي السديد للتغلغل في البلاد تتدفق جنوده عليها تعززها على الاثر جيوش موسى فتلم بها من كل جانب وتأخذها من كل مأخذ وتمعن في داخلها الى كل مستمكن ممتنع وتمضي في الفتح بلا استقرار ولا هوادة الى ان تبسط سلطانها على جميع الاندلس: ينقاد لها عتاتها صاغرين ، ويؤدي بقايا الملوك في اطرافها الجزية فرحين بالنجاة ويستأمن لها الشعب لما وجد عندها من الرحمة حيث خشي الجفوة واصاب من السماحة حيث ظن العنت وذاق من حلاوة العدل بعد مرارة الظلم . ويشاد على ذلك ملك عربي ضخم واسع ينشىء حضارة جديدة باكمل ما تحتاج اليه من عدد العلم والادب والصناعة والزراعة ويظل عزيزاً مئات من السنين الى ان تعتوره نفس العوامل التي قضت على تلك الامة قبله فتقضي عليه .

تلك أعجوبة فتح الاندلس استفاضت اسفار التاريخ الضخمة في ذكر اخبارها وانك لتتصفحها فتتمشى من عجب الى عجب وترى ان الاسهاب في غايته لا يفي وبصف أدنى المعجزات التي أبلغت مجد الامة العربية في بدء نشأتها اسمى مبالغ المجد

على ان ما ضاق به التاريخ من معجز فتح الاندلس قد وسعته رواية شعرية عنونت باسمه ، وفتح الله على ناظمها بوحي سلسل فيها الحوادث كاحسن ما يستحب تسلسلها وبشعر وافق لغة اولئك الابطال في ذلك العصر أجمل موافقة فلا يستطيع من يقرأها الا ان يقول تلقاء هذا الفتح الادبي كما قال اشهاد ذلك الفتح الحربي : « الله اكبر » .

فيا أيها الشاعر الفذ العبقري جئت في هذه الرواية باللباب اللباب وتحريت الحقيقة في أدق ما نقله الثقات ولم يفتك الابداع في خلق من خلقت من اشخاص واحداث ما أحدثت من وسائل لتنتقل تلك الحادثة العظمى في حوادث التاريخ بمن « لعب ادوارها » من أعاظم رجال العرب وما جرت فيه وقعاتها من الحلبات

الفيحاء في تلك الاصقاع القصية بين سهولها وجبالها ومن ذلك الزمن القديم الذي بيننا وبينه ما ينيف على الف ومائتي عام الى حيث تكون بمرأى ومسمع من اهل هذا العصر على منصّة، قيد اذرع معدودة، تقع وتخرج عجائبَ عبرها وتبدي دقائق مقدماتها وجلائل نتائجها في ساعة او تزيد قليلا .

لقد ارتبطتَ في جوهر الموضوع بالتاريخ مع ان الفن الروائي حرر المؤلفين منه ولم يتطلب منهم الا الاجادة فيما تصوره أوهامهم لاغراض هم يعينونها ويسوقون القصة لاحلالها من نفوس الناس محلها من نفوسهم . وعلى هذا التضييق وجدتَ سبيلا للانطلاق في سماء الخيال واستنزال أسمى المعاني من معتصماتها وبلغت فيما نقلته من خطبة طارق وما أتممته بها من آيات بيانك مبلغاً يصح معه أن تصبح أنشودة العرب في مشارق الارض ومغاربها

، وكان عجباً لي ان بديهتك النادرة كشفت لك اسراراً من الفن الروائي لم تكشفها بديهة لاحد قبلك ممن فاته الخبر الطويل والمرانة القديمة إذ ليست مما يؤخذ ابتداراً بمحض الفطنة الا ان يكون المؤلف رزق من الذكاء ما رزقت . على ان ما لم تتوفر عليه من تدبر بعض الاصول الفنية والتقيد باساليبه في سَوق روايتك ، قد عوضتنا منه عوضاً كريماً بتطويعك اللسان العربي العصي ليؤدي بعد اليوم ما تشاء القرائح من دقائق المعاني في الاغراض المسرحية المتنوعة .

وههنا أقف هنيهة لاهتف : جَلّ فضل الله فيما خص به الفطرة العربية من مزايا لم يودع منها سجايا الامم الاخرى إلا اشتاتا . فهي حين تخدم حق خدمتها في أي مذهب فكري أو فن أدبي ـ حائلا دونه ما حال من المصاعب ـ تأتي بالمعجزات على ما نرى منه جملة مدهشة في بلادنا وفي مهاجرنا وحسبنا بروايتك شاهداً .

مرحى مرحى ، أي شاعر العرب وأمير دولة الادب ، حياك الله أحسن تحية بما أخرجت لنا من المفخرة التي تنفس كل ثمن وتخلد بين أقوم ذخائرنا البيانية على الزمن ، فقد أضفت في نفوسنا الى كرامة ذلك الفتح القديم ماشاء نبوغك وافتنانك من السرور والاعجاب بفتحك الجديد العظيم ؟

خليل مطران

اشخاص الرواية

« الاشخاص التاريخية »

الامير موسى بن نصير
الامير طارق بن زياد
زيد بن قاصد السكسكي فاتح مالقه
المغيث مولى الوليد بن عبد الملك فاتح قرطبه
طريف بن مالك قائد الحملة الاولى على الجزيرة الخضراء
حنش بن عبد الله من خواص الامير موسى

الامير عبد الله فاتح ميورقه ونجل الامير
الامبراطور لذريق ملك القوط
الكونت يليان حاكم سبته
فلورندة بنت الكونت يليان
اريك قائد جيش القوط
تدمر حاكم الساحل الاسباني

* * *

« الاشخاص الموضوعة »

جواسيس العرب بين القوط:
ابن خطاب
حسان
صالح
سعد
عامر

حاشية الامير موسى:
عمير بن الحارث قيم القصر
فتح بن عقبة
سعيد بن عثمان
عكرمة بن عمر

حاشية الامير طارق:
ابن عباد
اسامة بن عمر حاكم طنجة المدني
ناصر بن مزيد ملحق سياسي
خالد بن عياش فقيه طنجه
سالم بن عمر قائد حامية طنجه
سعد بن طلحة الشاب العاشق

و وسول الامير طارق الى القيروان
شيخ طنجه الوطني
هارون زعيم اليهود في بلاد القوط
عزرا وكيل هارون بين علية القوط
يعقوب « » في جيش القوط

برام وكيل هارون بين رجال الدين القوط	اردون احرار القوط المعتقلون
روبين « « بين الكتاب القوط	مورنتس
مركادس صديق الكونت يليان	برمند
فرديناند احد أعوان الكونت يليان	ردمير قيم السجن
الفنس كاتب السر للكونت	ايثير معشوقة سعد واحدى وصائف الملك لذريق
البرت صديق الفنس	
مرتين	

« المنكرات المسرحية »

امناء الملك لذريق ونديمه وجنود وقواد وخدم

الفصل الاول

المشهد الاول

المغيث مولى الوليد بن عبد الملك ، الكونت يليان حاكم سبتة ،
ابن خطاب واعوانه : حسان ، صالح ، سعد ، عامر
يرفع الستار عن المغيث والكونت يليان يتحاوران

الكونت يليان :

أَقبلتُ يحفزني إِليك رجاءٌ أطوي الفجاج تلفني الظلماء
وأَناالجواب على كتابك لم أُطق ريثاً

المغيث : كذلك يفعل الخلصاء

أَنامن عرفتَ وقد كتبتَ مورّياً فاجهر بسرك! حسبك الايماء

الكونت يليان:

ماذاأقول؟ وكيف أشرح قصتي؟ عرض أُهين !! ومحنة وبلاء

المغيث :

عرض أُهين ؟

يليان : نعم أُهين ودُنّست عذراء كم فخرت بها العذراء
لذريق ضرج ثوبها بدمائها

المغيث : أَوَ لم تُرق فوق الدماء دماء

أَوَ لم تمدْ بالقوط شمٌّ جبالهم   أين الإِباء ؟

يليان :   وهل هناك إِباء؟

لو كان فيهم ماذكرتَ لمامشت   قدم اليك ولا ارتمت أَنباء

المغيث :

صدقت وإِني يعلم الله واثق   بانك عفٌّ النفس حرٌّ المناقب

وأَنك لم تخفر لقومك ذمة   تشينك، فاطرح عنك همَّ العواقب

ومااسم التي عرَّضت لي بحديثها ؟   وكيف أَطاقت هول تلك النوائب

يليان :

لقدخانني لذريق في شرف ابنتي   فلورندة العذراء !

المغيث :   يا لَلمصائب !

يليان :

هوت بعد ان أَبلت جهاداً وعفةً   ولكن جهاد الريم بين المخالب

أَلمَّ بها في الليل والله ناظر   اليه، وكان الليل في زِيّ راهب

فدمدم قصف الرعد يصعق صارخاً   من الملأ العلْوي صرخة غاضب

ولعلع برق يستشيط تغيظاً   يمزق صدر الجو من كل جانب

وهاج دَويٌّ الريح حتى كأَنه   عويل الثكالى أَوصياح النوادب

سماءٌ وأَقدار تضجٌّ وأُمة   غدت في يدي لذريق مخراق لاعب

وإني اذا استنصرت بالله دونها ... فما كان سيف الله غير الاعارب

المغيث :

لبيك ألفاً لقد أبلغت أسماعي ... وقد هززت طويل الرمح والباع

شاهت وجوه بني اللخناء إن لهم ... يوماً يطيل عليهم صيحة الناعي

وويح لذريق من شهباء مطبقة ... تزلزل الأرض من شدٍّ وإيضاع

وقد أعزيك لو في الامر تعزية ... ومن يعالج أوجاعاً بأوجاع

يليان :

شكراً وما الشكر إلا ما تراه غداً ... لقد نزلت بوادٍ منك مراع

وسوف اصدر عنك اليوم مغتبطاً ... بأن أشياعك الأبطال أشياعي

المغيث :

نعم، صدقت، وإني عند ظنك بي ... ومرحباً بك من مستصرخ داع

ان الأمير رعاه الله خوّلني ... أن أبرم الوعد

يليان : ... إني سامع واع

المغيث :

هوّن عليك فما حبلي بمنصرم

يليان : ... والله يشهد أني غير مرتاع

وسوف ارجع رحب الصدر من ثقة

المغيث : ... في ذمة الله

يليان : ... نعمَ الحافظُ الراعي

﴿ يتصافحان ويخرج يليان ﴾

الخادم (للمغيث) مولاي بالباب قوم

المغيث : كيف منظرهم

الخادم : كالجن

المغيث (مبتسماً) : حسبك وائذن غير هياب

الخادم : سمعاً سأُدخلهم

ثم يعود مخاطباً القوم : مولاي يطلبكم

﴿ يدخل القوم مقنعين ﴾

المغيث (ماداً بصره) : اهلاً من القوم ؟

ابن خطاب (رافعاً النقاب) : حقِّق غير مرتاب

وانظر ملياً تجد ما شئت من كرم فهل علمت ؟

المغيث (منعماً النظر) : نعم قومي واحبابي

قد كنت أرقب هذا الليل أوبتكم وقد رجعتم فمرحى يا ابن خطّاب

لله درُّك فاقصص ما رأَيت وما سمعت إذ كنت بين الظفر والناب

لقد بعثتك مرتاداً فهل وجدتَ تلك الأعاجم ريح الليث في الغاب

ابن خطاب :

الفقر، والظلم والشحناء، واللدَدُ أولئك القوط

المغيث : بئس القوم والبلد

ابن خطاب :

جسنا خلال ديار القوم نقتلهم ... خبراً وننظر كيف العير والوتد
كل امرىء خاذل منهم اخاه فلا ... أخٌ هناك ولكن أمة بددُ

حسان :

هرْج ومرْج وأحزاب ممزقة

المغيث : لو انها اتحدت ..

حسان : هيهات تتحد

سادَ الفساد وضل الرشد واتفقوا ... أن لا اتفاق وعمَّ اليأس والكمد

المغيث :

وهل ألمَّ بقصر الملك وافدكم

ابن خطاب : نعم ويعجب منه كل من يفدُ

يحكي السماء التي من فوقه ارتفعت ... فانه مثلها ... ليست له عَمَدُ

صالح :

فيه الفجور وفيه العرض منهتك ... والطاس والكاس والتدليس والجسد

سعد :

وثَمَّ كل غرير من جآذرهم ... كأنه الكوكب الوضاء يتقد

عامر :

قد كان فوق سرير الملك منتسب الى الملوك به الاحرار تعتضد

فزال (غيطشة) المنكود طالعه وقام (لذريق) لم يسعد به احد

وعِلْيةُ القوم في بذخ وعربدة والشعب لا سَبَدٌ باق ولا لَبدُ

المغيث :

إني لأَعجب مما تذكرون لنا من أين للشعب ذاك الصبر والجلد

ابن خطاب :

هي البلادة لا صبر ولا جلد من يألف الخسف لم يؤلمه ما يجد

المغيث :

حان الرُّقاد وقد كنتم على سفر ومثلكم فلتلد في العرب من تلد

وسوف نملك تلك الارض خالصة لله يُعبد فيها الواحد الصمد

﴿ ينصرفون إلا سعداً وعلى مقربة منه حسان يراقبه ﴾

سعد (منشداً) :

ما الذي كان على الظبي الأغنّ بعد بَرْح الهجر لو رفّهَ عني

هجع الناس وإني بعدهم أرِق لم أُلقِ جفناً فوق جفن

انا لا أرجع عن عهد الهوى ولئن كان الهوى صفقة غبن

من غواني القوط إلا أنها من غواني العرب في بخل وضن

تعرف الدل ولا تجهله إنها تذهب فيه كل فن

صدق الباكي على أحبابه　　أيها الدمع على الشوق أغني

حسان (واثباً من المكمن) :

من هو الهائم الذي ادّرع الليل　　أسعد ؟

سعد :　　نعم وقد جئتَ سعدا

كيف أشقى وأنت حي ؟

حسان :　　رويداً　　إنما نحن نطلب اليوم مجدا

سودتنا على الانام سيوف　　هي تأبى انثلام غربك وجدا

﴿ ثم يرفع يديه الى السماء ﴾

ربِّ فاغفر له الذنوب وأوزِعْ　　به هدًى منك لا يضلُّ ورشدا

سعد :

موقف بين أمتي وغرامي　　كعُباب الخِضَم جزراً ومدا

رب هبْ لي الخيار منك فاني　　لك عبد ولست تهمل عبدا

حسان : أخيارٌ ؟

سعد :　　نعم خيار فذرني　　وجنون الشباب أُخذاً وردا

أأخون الحبيب ؟

حسان :　　مهلاً ولكن　　أتخون البلاد شعباً وجندا

واباك الشهيد والشرف البا　　ذخ والتاج والامير المفدى

سعد : كن معيني ،

حسان : انا المعين !

سعد : أَحق انت عوني ؟

حسان : نعم وأَقطع عهدا

فذر الوَحشة التي انت فيها وانهض الآن مرهف العزم جلدا

﴿ يخرج سعد وحسان ﴾



المشهد الثاني

الامير طارق بن زياد ، ابن عباد من الحاشية ، أسامة بن عمر حاكم طنجة المدني ، شيخ طنجة الوطني ، ناصر بن مزيد ملحق سياسي ، سليمان خادم الامير طارق ، زيد بن قاصد السكسكي معاون المغيث ، خالد بن عياش فقيه طنجة ، سالم بن عمر قائد عسكري ، المغيث

﴿ يرفع الستار عن الامير طارق جالساً وحوله بعض الحاشية ﴾

الامير طارق (للخادم) :

هل شيخ طنجة جاء في الوفادِ ؟

الخادم : قد جاء !

الامير طارق : فليدخل مع ابن عُباد

﴿ يدخلان ﴾

مير طارق :

هلاً بأكرم زائرين ومرحباً

شيخ طنجة وابن عباد : شكراً ونحن لديك في الميعاد

ابن عباد لشيخ طنجة :

لك ما تشاء فقل وسر بك آمن فأمير طنجة طارقُ بن زياد

العدلُ فيه وفي ذَويهِ سجيةٌ   وأَمانة الأُمراء لِلقوّاد

الامير طارق : هاتِ الحديثَ

شيخ طنجة : نعمْ وحقّكَ إنني   أَرعى العهودَ لِمعشرِ الأمجاد

نسعى لهم قدمي وبمدحهمْ فمي   ويدي لِنُصرَتهمْ وصفوُ فؤادي

وأُعدُّ من سمعي ومن بصري لهم   رَصداً على الأعداء والأوغاد

ولقدْ تركتُ الرُّومَ قُبِّحَ ذِكرُهمْ   وبذلتُ لِلعربِ الأُباةِ قِيادي

ابن عباد :

مهلاً ! وأَينَ السرُّ؟ هل هو كلهُ   حبٌّ وإِخلاص وصدْق وِدادِ

(الحاشية تظهر التأفف)

شيخُ طنجة :

لَبيك من شيمي الوفاءُ لأَهله   واللهُ أَعلمُ وهوَ بِالمرْصاد

الامير طارق : أَحسنت !

ابن عَباد : قدْ قنعَ الأميرُ مزكياً   صِفةَ البلادِ وأَهلها الأمجادِ

شيخ طنجة :

أَنا لستُ أَعبأُ بالبلاد وأَهلها   حسبي الشهادةُ من حُماةِ بلادي

ابن عباد (مشدداً) :

إِن الأمير يَوَدُّ لو حدَّثته بالسرِّ قبل الإِذنِ للوُرَّاد

شيخ طنجة (ذاكراً السر) :

مولاي قد هبطَ المدينةَ قادمٌ شقَّ الظلام من العراء نَفورا
حيته حاميةُ الحصون وأَطلقت عن باب طنجة فاستباح السورا
ركب الطريق إِلى المغيث مشمراً لولا المغيثُ لما استطاع ظهورا
نبئتُ عنه أَميرَ سبتةَ واسمهُ يليانُ يحمل لهذماً مطرورا
ولعلَّ ثَمَّ دسيسةً مكنونةً مولاي يسبرُ غورها المستورا
أَنا ساهرٌ طوعاً لأَمركَ فارمِ بي مَن شئت تلقَ موفقاً وغيورا

الامير طارق :

قد كنتُ أَحسب أَنَّ عندكَ قصةً عجباً ، وأَسراراً لديك تُصان
تَخفِّض عليك فلستُ أَجهلُ ماالذي فعلَ (المغيث) وضيفهُ (يليان)

شيخ طنجة : مولاي عفوك !

الامير طارق : لا عليك فلا تكن جزعاً فمثلُ الشيخِ ليس يُهان .
واذهب لشأنك راشداً

شيخ طنجة : أَنا لم أُرد نُكراً !

الامير طارق : صدَقتَ وشخصك البرهانُ !

(يخرج شيخ طنجة)

ابن عباد (للامير طارق معتذراً) :

لقد عاش هذا الشيخ ستين حِجةً يكابدُ بغيَ الرُّوم والبغيُ يرهقُ
ومن يَكُ تحت الذُّلِّ طفلاً ، ويافعاً وكهلاً ، وشيخاً ، فهو في الذُّلِّ مُعرِق
تَسلفَ مني موعداً وأعنتني عليه فجئنا القصر والخيلُ تعنق
تكتَّمَ لم يَنْبِسْ فقلت محنَّكٌ ولما انبرى للقول أغضيت أُطرق
ولستُ أَلومُ الشيخ فالعذرُ ساطعٌ لديك وعهدُ الروم باللوم أَخلق
أَفاض عليهم منه رُعباً يؤُزُّهمْ وعلَّمهم بالعسفِ كيف التملُّق
لقد شَقي الشعبُ الضعيفُ وإِنني لَأعطفُ محزوناً عليه وأُشفق

ناصر بن مزيد :

رُوَيدَكَ ! فالمأْفونُ من يشتكي الاسى ويرأَفُ بالشعب الضعيف ويرفُقُ
أُحمله الأَثقال كالعَيْرِ لم أَسلْ أَدبَّ وئيداً أم تحمس يسبق
ويوم أَحطُّ الرحلَ عنه فإِنه يُرنِّحُ من أُذْنيه نفضاً وينهق
يقولون قال الشعب والشعب لم يقل وإِن هي إلا فِريَةٌ وتشدُّق

وما الشعب إلاَّ ما رأيت وإنه   لكالحطب المرْذول في النار يحرق
فيسبغُ في الليل البهيم ضياءه   عليك فدع ما يدعيه الملفق
وذلك علمي بالسياسة إنها   لأروجُ في سوق الحياة وأنفق

الامير طارق :

ألا اصمتْ ! ألا اخرجْ ! دونك الباب إنني   لأمقتُ غربان السياسة تنعقُ
أتطلب مني أن أُقِرَّ سياسةً   هيَ الخزي في الدارين ؟ إنك أحمق !

ناصر :

أمانًا وعطفًا سيدي أين جُرْمتي   وصفحك !

الامير طارق :   باب الصفح دونك مُغلق

(يخرج ناصر)

الامير طارق « مستمراً » :

أنقطعُ أيدي السارقين وغيرُهم   يشدُّ على حقِّ الشعوب فيسرق
ونحن حماةُ العدل شرقًا ومغربًا   نكرُّ على الباغي الاثيم فيصعق
وما عرَف التاريخ كالظلم آفةً   تدمرُ أخلاق الشعوب وتسحق
يجرِّعهم موتين : موت نفوسهم   بذُلٍّ : وموت الارض بالفقر تمحق

فقل لعتاةِ الشرق والغرب حسبكم　　لقد ضمن العدل (الوليد) الموَفق
أعاهد ربي أن أمزِّق شملكم　　أجلْ ! إن شمل الظلم سوف يمزق

(ثم يلتفت الى خادمه)

سليمان ! أدخل إلي المغيث　　وزيداً ، وخالد ، وابني عمر

(يدخلون)

الداخلون : سلامٌ عليك !

الامير طارق : سلام عليكم　　فهيّاً اجلسوا واعقدُوا المؤتمر
تحرّوا لنا الرشد

المغيث ومن معه : يحيا الامير　　وسمعاً وطوعاً لما قد أمر

(يجلسون بين يدي الامير طارق وهم يتحاورون)

زيد بن قاصد السكسكي :

أذِنَ الله أَن يكون حِمانا　　مفزع المستغيث من كل شعبِ
وأرى القوط فتنة إثر أخرى　　كلّ حزبٍ يعضُّ منهم بحزبْ
فانهضوا غير معتدِين اليهم　　وائذنوهم ولا جُناح بحرب

فهلاك الشعوب منهم وفيهم   إِن ذنبَ المغيرِ ليس بذنب

خالد بن عياش فقيه طنجة :

أجل ! أدليت بالرأي السديدِ   فليس القوط بالشعب الرشيدِ
تخبطهم من التقليدِ مسٌّ   وليس على التخبط من مزيد
سيهدِمُ بعضهم بعضاً فنبني   على انقاضهم عرش الوليد

سالم بن عمر القائد العسكري :

ايها الصفوة افسحوا لي المجالا   وخذوا الرأي مرهفاً والمقالا
ثار نقع الجدالِ حتى نسيتمْ   ان للقوط عزمةً وصيالا
كم ازاحوا (الفندال) عنهم جنوبا   ورموا (بالسواف) عنهم شمالا
ومن الحزم هدنةٌ واناة   فنعدُّ الكماة والابطالا
انا لا ارهب العدوَّ ولكن   انا اخشى الغرور والاهمالا

أسامة بن عمر الحاكم المدني لطنجة :

كيف تنسون يوم سبتةَ لما   فلَّ من غربِ بأسكم يليانُ
وجهلتم بانّ بين يديكم   أمماً تستفزُّها الأضغان
قد صلينا الحروب ستين عاماً   فاستكانت عداتنا الشجعان
أفلا تذكرون لي منْ عساهُ   يكفل الأمن ان خلا الميدان

وعدوٌّ امامنا امتشق السيف علينا وخلفنا العصيان

المغيث :

أناةً : وصبراً ؟! فالسيوف كثيرةٌ — من القوط في أحشاء لذريق تغمدُ
تعهّدَ لي (يُلْيَانُ) ان يستميلها — إليَّ ، فلي جيشان : غازٍ ، ومرصد
علمتم بما قد كان بيني وبينه — من الامر لم أَجحدْ ولا هو يجحد
ولستُ أخاف الغدر منه وانه — ليصدُقُ عندي بالذي يتعهد
أنرهب شعباً يستبدُّ بأَمره — حقودٌ ، ودجاَّل وباغ ومفسد
كذلك كان القوط لستُ أهابهم — فليس لهم يومٌ وليس لهم غد
وإني اذا استغللت ضعف نفوسهم — فللعرب والاوطان والله يشهد
لقد ملأ الحقدُ الدفين صدورهم — ففي كل صدرٍ : همسةٌ تتوعد ؟!
اذا احتفرت ايدي الشعوب قبورهم — يكفنهم فيها العدوُّ ويلحد
ويحمل منهم رمةً لاجنايةً — تقوم لها الدنيا عليه وتقعد

الامير طارق :

وعيتُ الذي قلتم وإني لاشكرُ — واعلم انَّ الرأْي بالرأْي ينصرُ
وانْ ترِد الانباء تترى حثيثةً — عن القوط اني بالحقائق اخبر
لقد جاءَكم (يليان) يذكر خطبه — واملى عليه الحقد ما ليس ينكر
فهوّن أَمر القومِ جيشاً وأُمةً — وللقوم بأْس — يعلمُ الله — يؤثر

وان يضغِ الرُّوّادُ منهم فلمحةٌ | من النظرةِ العجلى ارتمت تتعثر
وان الصواب المحض ماقال سالمٌ | وكل مقال غيره فهو أبتر

القائد سالم: لك الشكر يامولاي ؟

المغيث: والامر كله إليكَ

اسامة بن عمر: أجل انت الزّعيم المدبر

الامير طارق مستمراً:

ولا خوف من شرّ الرعية خلفنا | فقد عرفونا كيف نصفو ونكدر
لنا الحبُّ والاخلاصُ منهم وانهم | من الحب والاخلاص اهلٌ ومعشر
وما القوط إِلا ما علمتم وانهم | بنو الحرب واليوم الذي هو اغبر
ولم يغْرِني الضّعفُ الذي شاع بينهم | وما كان مثليَ للضعيف يشمر
ولكن اشنٌ الحرب علماً بباسهم | ففي مثل تلك الحرب عزٌّ ومفخر

﴿ ثم يثب من مجلسه ملتفتاً نحو الشرق قائلا : ﴾

فيا ايها الشعبُ الذي انا بعضه | فدًى لك عضوٌ منك مثليَ أحقرُ
فإِن ترض بي عنك الضحية تحيني | ومن انا لولا انت أن كنت أُذكر
حطمتَ عتاة الدهر لم يغن بطشهم | ولا الجيش جراراً، ولا المال يزخر
سيصعق منك القوط والارض تحتهم | تميدُ بهم ان صحتَ: الله أكبر

ولو صغروا عن ان يكونوا فريسة   لذاب حياءً سيفك المتكبر

﴿ ينهض الجلوس وهم يهتفون صائحين ﴾

حيِّ امير العرب وليحي جيشه   الى الموت اين السيف؟ قل كيف تأمُر

الامير طارق :

سنبعثها شعواءَ تقمع ظالماً   وتنصف مظلوماً ، وللعرض تثأر



المشهد الثـالث

في القيروان

الاميرموسى بن نصير ، طريف بن مالك الامين الخاص للامير ، سعد بن طلحة رسول الامير طارق ، عمير بن الحارث قيم القصر في القيروان ، حنش بن عبد الله شيخ فى الثمانين من عمره ومن جلساء الاميرموسى بن نصير، فتح بن عقبة شاب من الحاشية ، سعيد بن عثمان شاب ثان من الحاشية ، عكرمة بن عمروشاب ثالث من الحاشية ، الاميرعبد الله نجل الامير موسى وفاتح ميورقة

« يرفع الستار عن سعد بن طلحة رسول الامير طارق يتمشى »
« في فناء القصر في القيروان »

سعد :

هذه القيروان عاصمة المغ رب مثوى الاميرموسى الهمام
ولئن جئتها رسول بلادي فلقد جئتها رسول غرامي
وحملت البريد فوق قلوص تسبق السهم مر عن قوس رام
ايه يا طنجة السحيقة عـني لك مني تحيتي وسـلامي

عمير (داخلا) : مرحباً يا سعد

سعد : اهلاً بعمير

عمير (مشيراً الى الباب) : قف ! فقد أَقبل موسى بن نصير

الامير موسى (داخلا ووراءه الحاشية) : من هو القادم ؟

عمير : سعد

سعد : سيدي جئت من طنجة في امن وخير

الامير موسى : أَهلا بسعدَ !

سعد : لك البقاءُ مخلداً والشكر أَجزلَ

الامير موسى : كيف حالة طارقِ

سعد :

هو شيقٌ ولديَّ منه رسالة لك

الامير موسى : هاتها

سعد : (يدفع الرسالة) هي عنه أَبلغ ناطق

الامير موسى (متصفحاً الرسالة) : كيف الجنود ؟

سعد : كما تُحبُ حميةً متطلعين إلى اللواء الخافق

هتف الصريخُ بهم فهاج كماتهم من كل أَشوس فوق أَجرد سابق

الامير موسى : وهل البلاد كما تقول ؟

سعد : بأَسرها غضبتْ لضيم القوطِ غضبة صادق

لهفي على البيض الكواعب بينهم

طريف بن مالك: إني لأَسمع منك أنة عاشق

سعد (للامير):

مولاي عفوك إنما هي رحمةٌ للقوط من عنت الغشوم المارق.

الامير (لعمير):

خذْ يا عمير إليك سعدَ فإنه نضوُ الكلالِ من السُّرى المتلاحق

عمير: لبيك يامولاي

سعد: أمرُك طاعةٌ

الامير (لعمير): واصحب صديقك سعد صحبةَ وامق

(يخرج سعد وعمير)

طريف (للامير):

أَجل مولاي لم تك بالضنّين ولستُ لديك بالضَّرِع المهين

أتتك شوارد الانباء سبقاً وجاءك سعدُ بالخبر اليقين

فهل لك أَن تسرّ اليّ أَمراً لديك ولست عندك بالظنين

فان يكن القتال فتلك بشرى بنصر الله والفتح المبين

الامير موسى:

ورد الكتاب وكلّ حرف فيه نُذُرٌ تُطِلّ عليك من مُزجيه

واخالُ يوم القوط حان وانني ... لا كاد أَسمع شجو من يبكيه

الشيخ حنش :

مولاي أَوشك طول الحربُ يفنينا ... فاستبقِ من قومك الغرّ الميامينا

خضنا الممالك لم نستثن مملكة ... والبحر والبرّ حتى الهند والصينا

وقد كررت على الامصار مقتحماً ... وجئت من (كفرمتري) في فلسطينا

تطوي العباب، وتجتاب الهضاب، ولو ... رُمت السحاب لسخرْت الشواهينا

انا ابنُ سبعين او أني على كثب ... منها وان لبست لون الثمانينا

فالمغربان وافريقيــة ابتلعت ... تلك السنين وكانت دون عشرينا

فاكفف جماح شباب ان أَصخت لهم ... أَلفيت من غدك الدُّنيا ميادينا

أَكلما استصرختنا الناسُ من بلد ... كنا الضحية عنهم والقرابينا

ويحَ الشباب وويلي من تهوُّرهم ... وليت كلّ فتىً منا ابنُ تسعينا

فتح الشاب الاول :

يا سيدي الشيخ انصافاً ومعذرة ... نحن الشباب لنا الدنيا وما فيها

وهذه البقعةُ العصماءُ ناطقةٌ ... بالحقّ يشهد قاصيها ودانيها

ان تطلق الفكر مرتاداً لها انقلبت ... به الظنون خسيراً من تراميها

من عهد عثمان ذي النورين ما انقشعت ... عنها الحتوفُ الى حسان واليها

لم نأْلها الجهد حتى ثاب غاشمها ... الى الخنوع وحتى تاب غاويها

فاصبحت وطناً ناهيك من وطن   فيه العروبة تفدينا ونفديها
وقد ألمّ بها المستصرخون لها   فكيف نطرق اغضاءً ونخزيها

سعيد :

أين الرماة فان الصيد عن كثب   أعظِمْ بها فرصة عنّتْ لباغيها

الشاب الثاني :

إني أخاف عليكم أن تصدّ غداً   عنكم فيكثر في الباكين باكيها
هل ينفذُ السهم لولا فرجةٌ سنحت   للسهم يزلُقُ منها ... ممعناً فيها

عكرمة الشاب الثالث :

يا شيخنا اسلم وذرنا نحن في محنٍ   ما ذا يَضيرُك أن نستقصي المحنا
فاجمع أو اضرب أو اطرح من سنيك كما يرضيك واذهب وحاسب دوننا الزّمنا
تالله ما الموت الا العيش في ضعة   من يرض بالثوب نجعل ثوبه الكفنا
ان يُعوز العرب في بنيان دولتهم   هدم الحياة بذلنا الرّوح والبدنا
وليجعلوا من بقايانا ومن دمنا   طيناً وماءً فيبنوا الملك والوطنا
ياسيدي الشيخ ان طأطأت ممتهناً   فهل يطأطئُ كل الشعب ممتهنا

الشيخ حنش :

سيدي قد سكتّ عني واني   ذاهب ان أذنت لي نحو داري
ان صوت الشباب يُخفت صوتي   وحوار الشباب غير حواري

الامير موسى :

أنت أَدَّيت في شبابك حقًا لك ما انفكَّ قِبلةَ الانظارِ

ولك الأَمرُ

الشيخ حنش : سيدي لك شكري انا ماضٍ

الامير موسى : وُقيت شرَّ العثارِ

الامير موسى (للشباب) :

أَسأْتم الى الشيخ الجليل تَهجماً وكان حرياً أَن يقول فيعذرا

نسيتمْ من الأَشياخ كل مدجج يشقُّ مثار النقع أَشعثَ أَغبرا

ويخترق الصفين زحفًا وفتنةً ويخترطُ السيفين رأياً وأبترا

وإن أَكُ قد أكبرتُ فيكم تحمساً يَهيج بكم أنكرتُ منه التهوُّرا

وما الأَدب الموروثُ إلاَّ سياجكم وما الخوف الاَّ أَن يقالَ تنكرا

اذا انسلختْ منه الشعوبُ رأَيتهم كأَقبح ما استفظعت مرأى ومخبرا

الشاب عكرمة : سنخرج إثر الشيخ

الشاب فتح : نطلبُ عفوَهُ

الشاب سعيد : ومثلك من ردَّ الجماح وذكرا

﴿ يخرج الشباب ﴾

طريف (للامير موسى) :

مولاي كم فتنة أَطفأْت جمرتها فلم تقمْ فتنةٌ من بعد حسانِ
فتحت طنجة لم تعجز ك وانفتحت لك القلوب معاً من بعد عصيان
بثثت في القوم روح الضاد فاتصلت بالروح تملكُ منهم كلَّ وِجدان
عرَّبتهمْ فغدَت في العرْبِ نسبتهم ذُخراً لعدنان او رِدْءاً لقحطان
واليومَ تهتفُ أَصوات تُهيب بنا الى الأَمام! فهل مِن سوْددٍ ثان

الامير موسى :

سيوْذَنُ بالفتح الذي يستفزُّكم فطارقُ لم ينكل ولا انا أَنكلُ
وقد نطقت عنه الرسالة بالذي أَعدَّ وزكَّاها البيان المفصَّل
هو البطل الليثي غير مدافَعٍ

طريف : ومن يجهلُ الليثي؟ هيهات يجهل

الخادم (للامير) : مولاي أَقبل سَعدُ

الامير (موسى) : فليوْذَنْ له وامنعْ سواه

الخادم : نعم فتاكَ بمرْصدِ

سعد (داخلا) : حييتِ يامولاي خير تحية

الامير موسى : أَهلاً بسعد فخذ مكانك واقعد

ما ذا وراءكَ ؟

سعد : ما تحبُّ وإنما هل حان لي سفرٌ

الامير موسى : سترجعُ في الغد

سعد : ومتى الجواب على رسالة موفدي

الامير موسى (كاتباً الجواب) : إياه أكتب ! ... هاك

سعد (متناولا الكتاب) : شُكراً سيدي

أَيُتيحُ لي مولاي قُبلة كفّهِ

طريف : قَبِّلْ

سعد (مقبلا يد الامير) : نَعمتْ يداً وكم لكَ من يد

وليبقَ مولاي الامير مُمثلاً شرف الخلافة مستتبَّ السؤدد

إن شاءَ رفرف بالسكينة أيّداً أو شاء زلزل كل عاتٍ أيّدِ

﴿ بشير يدخل مسرعاً فيخاطب الامير موسى ﴾

البشير :

مولاي بشراكَ بالفجر الذي سطَعا

الامير موسى : فيم البشائرُ ؟

البشير : عبدالله قد رَجعا

قد عاد نجلك عبدُ الله منتصراً　　وانساب أُسطولهُ الجبار مندفعا
أَضحت جزائر بحر الروم وهي لكم

الامير موسى :　　شكراً وأبشرْ

البشير :　　سروراً جئت لا طَمعا

الامير موسى (مشاهداً نجله قادماً) : لقد جاءَ عبدُ الله

الامير عبد الله (داخلا مع القواد) : حُيِّيت سيدي

الامير موسى :　　سلاماً وأهلاً دمت للعرب ناصرا

الامير عبد الله :

نَهضت بما يرضيك غير مفرِّطٍ　　ودونك من حولي الكماة القساورا
مَيورقةُ انقادت إليَّ ومثلها　　مَنورِقةُ الأُخرى

طريف :　　فحييت ظافرا

مشى اليوم إثر الأمس أبلج مشرقا　　يَزُفُّ عن الفتح المبين البشائرا
وقد سبقت سِرْدانيا وتقدَّمتْ　　صِقلِيَّةُ الفيحاءُ تلك الجزائرا

الامير موسى (للقواد) :

هنيئاً لكم بالنصر بعد بَلائِكم

الامير موسى (لنجله) :　　وبوركت مأموراً وبوركت آمرا

الامير موسى (للجميع):

فهيًّا اجلسوا حياكم الله

الامير عبد الله : إنّا سُيوفك ان أغمدت أو كنت شاهرا

الامير موسى (يلقي خطبته):

لقد فتحتم ولكن فتح عمرانِ — وقد حكمتم ولكن حكم إحسانِ

وكم عدوٍّ حديدِ الناب من جشعٍ — يَغرّه اللينُ مني يومَ يلقاني

طاوي الفلاةِ يريغُ الصيدَ فانتقضت — به الفلاةُ على أنياب سِرحانِ

وما أخاف على قومي الحتوفَ وإن — رمى النضال بهم في كل ميدانِ

فقد درجنا وأشتاتُ الأنام معًا — الى الوجودِ فمن حِثٍّ وكلدانِ

وبابليين عن طفّ الفراتِ مضوا — وفينقيين أخلوا سفح لبنانِ

ومن فراعنةٍ في مصر كم غبرت — تستصغر الدهر من زهوٍ وسلطانِ

وكم عفت مثلهم من قبلهم أممٌ — شتى استطالت وأبلاها الجديدانِ

أودى الجميع وقد صاح الفناءُ بهم — ونحن نسمعُ منهم أنّةَ الفاني

ونلمحُ القبر بعد القبر يحطمهم — سحقًا ويطمس منهم كلَّ عنوانِ

وقد ثبتنا على رغم الزوال فلم — تسحب علينا الليالي ذيلَ نسيانِ

لله نحن ففي الدنيا الخلودُ لنا — والخلدُ من حظنا في العالم الثاني

طريف (للامير موسى) :

ضمنت لإفريقية العدل والأمنا	وللمغرب الأقصى وللمغرب الأدنى
ممالك ذاقت محنة الروم حقبة	فنفست عن ابنائها الكرب والحزنا
يصيح بك الملهوف من كل أمة	وينهب سعياً خافك السهل والحزنا
هنيئاً لك النصر الذي قد بلغته	فحقق في أبطالك الأنف الظنا
لبست من الماذي كل مفاضة	وسدت فلم تسبغ من الترف الردنا

الامير موسى (لسعد) :

يا سعد سافر بالكتاب معجلاً	واحمل بشارة ما رأيت لطارق

سعد : انا ذاهب مولاي

الامير موسى : فامض موفقاً يا سعد !

سعد : والتوفيق خير مرافق

(يخرج سعد)

« يسدل الستار »

الفصل الثانى

المشهد الاول

هارون زعيم الاسرائيليين في سبتة و و كلاؤه المندسون بين القوط وهم : عزرا بين الطبقات العليا ، ويعقوب في الجيش ، و ابرام بين رجال الدين ، وروبين بين الكتاب

يرفع الستار عن هارون يتمشى في كهف موحش ثم ينظر الى مصباح خافت معلق في الجدار فينشأ يناجيه :

هارون :

ياليل هل بعد طول الليل من فلَقِ — فظلمة الظُّلمِ لم يلمعْ بها فَلقُ
فاسهر معي أيها المصباح مرتقباً — وامننْ عليّ بضوءٍ منك يأتلق
ولستَ وحدك نهب النار محترقاً — قلبي كقلبك نهب النار يحترق
مهلاً اوما لك يعروك الشحوبُ فهل — اصبحت يشقيك مثلي الهم والأرق
أم أنت تضؤلُ خوفاً من مؤامرةٍ — أحسستها اقتربت في الليل تنزلق؟
أم ابتدأت فهيأت الطريق لها — فبتّ تمنعُ فيض النور ينبثق

لله درُّك من خِدنٍ ومشترك   في كل موئتمر للقوم يتّسق
هم الذين ستلقاهم فتعرفهم   ويعرفونك لا خوف ولا قلق

﴿ يقرع الباب من الخارج ويسمع صوت خافت يقول : شلوم ﴾

هارون (ملقياً بسمعه)

هي الضربةُ الاولى برفقٍ ..وأُختها   أشدُّ ..وسرُّ الليل وهو (شلوم)

ثم ينهض الى الباب يفتحه:

همُ الصحب فلأُطلقْ عن البابِ مُقْدِماً   وحانَ لصحبي المبطئين قدوم

﴿ يدخل المتآمرون ﴾

عزرا (لهارون) : شلوم

هارون : لكم مني شلوم اكلكم حضرتم؟

يعقوب : نعم !

ابرام : جنح الظلام كتوم

هارون موبخاً :

قدمتم وزي القوط ما انفك زيكم   فكيف امنتم فيه شوءماً مجربا
فهل آل اسرائيل اخلب برقهم   وهل رضيت تلك القلوب التقلبا

عزرا معتذراً :

رويدك ان الزي خير وقاية ومن وجد الجلباب درعاً تجلببا

هارون موافقاً :

صدقت فنزع الثوب ايسر مطلب اذا الفلك الدوار حقق مطلبا
وتالله قد ابصرتكم فاتهمتكم ولو لم اكن منكم لوغت منكبا
كأنك يا عذرا ابن لذريق مظهراً

عزرا : وانشب في لذريق نابا ومخلبا

هارون ليعقوب : كأنك يا يعقوب قائد جيشه

يعقوب : ولست اقود الجيش الا ليهربا

هارون لابرام : كأنك يا ابرام كاهن قومه

ابرام : اجل او جعلت الخلط في الدين مذهبا

هارون لروبين : كأنك يا روبين كاتب سرّه

روبين : نعم ! واذيع السر شرقاً ومغربا

هارون للجميع :

دنوتم فـامعنتم فلله دركم كذلك يمشي الكيد اقرب اقربا
ثأرتم من القوم اللئام وإنني سأثأر منهم .. مرجفاً .. ومخربا

فهلا انخلعتم من بغيض ثيابهم؟

عزرا: سنلبس سربال الجدود المحببا

هارون: فهيا ادخلوا من أيمن الكهف مكمناً

عزرا: اجل قد عرفنا الكهف وكراً ومسربا

(يدخلون المكمن لتبديل ثيابهم)

هارون (متوجعاً) :

لك الله من شعب صريع المظالم ... تقسم ما بين القنا والصوارم

لما انحدرت من مقلة الغرب عبرة ... ولا ارتفعت في الغرب صيحة لائم

فيا رب قد كانت لآدم وحده ... جنانك لم تخصص بها غير آدم

فما هي إلا هفوة منه مرة ... فاصبح ذاك العيش أضغاث حالم

فكيف وسعت الخلق عفواً ورحمة ... وقد هتكوا بالبغي ستر المحارم

وبات طلاع الخافقين فجورهم ... ولم يقرعوا من أجله سن نادم

وما هذبوا بالعلم الا سلاحهم ... ويا ويح علم بات معول هادم

فدونك والطوفان فجره مزبداً ... ليغسل عنا رجس تلك المآثم

وقل لعتاة الدهر بعض عتوكم ... فان قضاء الله ليس بنائم

فان كان ضعف المرء ذنباً يشينه ... فلا خير في ملك ولا شرع حاكم

وكيف يكون النهي والامر في يد ملوثة من مهدها بالجرائم
فيا رمم القتلى بكل تنوفة ويا لهب النيران بين العواصم
ويا دارس الاطلال في كل دمنة ويا ماثل الآثار بين المعالم
ويا موج بحر الروم في كل ساحل ويا خافقات الريح بين العوالم
قفي حدثي التاريخ عن مدنية تقام لها الأعراس بين المآتم

﴿ يرجع المتآمرون من المكمن بلباسهم الاسرائيلي ﴾

هارون :

أهلاً بكم فقد استعدتم زيكم ولبستم الشرف القديم جديدا!
ملأ العيون وبات يشهد أنكم من آل اسرائيل حين أعيدا!

هيا اجلسوا ... وهنا الكتاب فأقسموا

المتآمرون (يجلسون قليلا ثم يقفون أثناء حلف اليمين) :

لبيك ! نُقسم أن نظلّ يهودا!

هارون :

شكراً لكم! ولشد ما جربتكم فعرفت أصدق من عرفت عهودا!

عزرا :

مولاي لم تفتإِ الاسبان ترهقنا بالنفي والقتل والاكراه في الدين.

وقد تسللت بين القوم اخطمهم بالختل اجدع من شم العرانين.
أغشى المحافل في اعقاب عليتهم فاوقظ الفتنة الهوجاء باللين.
اني شققت عصاهم بعد إلفتهم فبات كل امين غير مأمون.

يعقوب:

مولاي إني انتجعت الجحفل اللجبا أندس فيه الى الارجاف منسربا
وقد لبست مع القواد بزتهم فكنت منهم ولكن قائداً عجبا
أنهنه الجند حباً بالحياة لهم وانشر الرعب فيهم مشفقاً جدبا
إني لأهدمهم سراً وأكتمهم قلباً توقد فيه الغيظ ملتهبا
أيظلمون بني قومي وأكرمهم مهلاً القدصدّق الاشرار من كذبا

ابرام:

خرجت من الثوب القشيب كحية قدانسلخت في جحرها من إهابها
وكيف نبالي أمة كل حظها من المجد في ألقابها وثيابها
سنبلغ منها ما نروم تحيلا ونسرع في تدميرها وخرابها
لبست ثياب القس تحت ظلالها أحرّف من أسرارها وكتابها
فما زلت حتى صرّح الشر انني نفذت الى أطرافها من لبابها

هارون :

انا منكم يا آل اسرائيلا أسأل الله للعثار مقيلا
ولئن خيم البلاء عليكم فعسى الصبر ان يكون مديلا
فاذكروا ظلم من أساءَ إليكم ولئن كان ما أساء ضئيلا
إن نسيتم أذى العدو هلكتم فتواصوا في الذكر جيلاً فجيلا
واحملوا الحقد في الجوانح حتى يجد الحقد في السيوف سبيلا

روبين :

يا سيدي سنكون قلباً واحداً ونكون يامولاي ٠٠ جيباً واحدا
ان المحبة في القلوب وانما نجد الجيوب على القلوب شواهدا
ان لم يكن سيف لديك فدرهم يغنيك عنه مناضلاً ومجالدا
فدع الصليل الى الرنين فربما كان الرنين أجلّ منه فوائدا
ولئن سكت فكم تكلم في يدي قلم تسيل به الطروس مكايدا

عزرا : لا تجزعوا ! واسمعوا

المتآمرون : ماذا تقول لنا ؟

عزرا : قلت الذي قلت لم أسأل له ثمنا

المتآمرون : أسرع وأوجز !

عزرا : ولكن أنصتوا وخذوا عني الحديث !

المتآمرون : سكتنا

عزرا : أرهفوا الاذنا

إني علمت بحزب غير عصبتكم بث العداوة بين القوط والفتنا

فانشق يليان عن لذريق متصلا بالعرب يندبهم ان ينقذوا الوطنا

لم يخذلوه وقد لبوه فاحتشدت ابطالهم واعدوا الخيل والسفنا

وسوف تخضع ارض القوط مرغمة وسوف تنسون فيها الخسف والمحنا

هارون : لله انت !

روبين : وما احلى واعذب ما حدثت !

برام : يا رب عجل ذلك الزمنا

يعقوب :

لئن شكرتك فاعلم أنني رجل في الجيش بين حبيك الدرع والزرد

فهل يتاح لمثلي أن يكون غداً بين الصفوف ؟ وهل احيا ليوم غد ؟

ابرام :

ماذا اصابك واذكرما نسيت ؟ فهل اعددت للجيش غير الكيد من عدد

فكيف عدواه تسري فيك ؟ هل حبطت عدواك فيه ، وفت الحمق في العضد

روبين : سأكون جاسوساً لهم !

عزرا : اياكا العرب تشنأ من يكون كذا كا

روبين : واذا فعلت ألا اكون نصرتهم

عزرا : هيهات يغتفرون ذاك لذا كا

روبين : سنمدهم بالمال !

يعقوب : انك كيّس وهل الحياة بغير هات وها كا

هارون :

مهلاً على القوم يا عزرا فان لهم حزماً يخاف عليك الغدر والنقما
ان الذي استأمن الافراد ممتلئ حمقاً فكيف الذي يستأمن الامما

عزرا :

مولاي احسنت ! الا ان لي ثقة بالعرب تجعل صدق اللوم متهما
فانظر الى جيشهم في كل ناحية في الارض كيف يصون العهد والذمما
وكيف يلتف بالاحباش منصرفاً عنهم ، ومن حولهم ينقض مقتحما
ان يدن من ارضهم يذكر يداً سلفت منهم فيحجم عنهم مفعما كرما
لم ينس هجرة اصحاب النبي الى ارض النجاشي في الدهر الذي انصرما

وانهــا استنقذتهم يوم محنتهم   ويوم عربد وفد الشر محتدما
واليوم قد فتحوا الدنيا فنهنهم   عن هذه الارض ان كانت لهم حرما
ثمر قرن وتتلوه القرون على   اثر القرون وعهد العرب ما انفصما

هارون :

لله درك في استنباطك العجب   وما اقتبست من التاريخ والادب
اني لاعهد فيك الصدق من صغر   والرأي أبلج، والتنقيب في الكتب
ولم ترد آل اسماعيل عن عبث   فانهم من بني الاعمام في النسب

عزرا :

مولاي والقوم لم اعرف لهم كفوءًا   في البذل والعدل والاخلاق والحسب

هارون : وكيف بالسيف ؟

عزرا : امضى منه همتهم

هارون : والمال ؟

ما شئت من مال ومن نشب

روبين : وكيف ننصرهم ؟

ابرام : ندعو بنصرتهم   ان الدعاء من المظلوم لم يخب

هارون :

مهلاً فان قميص الليل منخرق   يطل منه علينا القوم من كثب

فصادق الفجر يغشى الافق مقترباً   والفجر كالناس لم يسلم من الكذب.
فودعوا الكهف ولنرجع اليه غداً

عزرا :   مولاي نحن غداً في ذمة العرب.
والآن أرفع صوتي، بالدعاء لهم   الله ينصرهم !

المتآمرون :   يا ربنا استجب

« يسدل الستار »



المشهد الثاني

مركادس صديق الكونت يليان وهو شيخ طاعن في السن ، الكونت يليان راجعاً الى قصره ، فرديننذ احد اعوان الكونت يليان .

مركادس :

ايه يا شبتة يليان وصل　　　ولقد رنح عطفيك الجذل
ولكم جشمك النأي جوىً　　　كلما ارتاح الى الدمع اشتعل
ومشى الجفنُ الى الجفن اسى　　　وشكى الصبر الى الهجر الملل

ملتفتاً نحو الباب :

مرحباً ‥ ها هو آتٍ ‥ انه　　　فتح الباب ‥ فحيا ‥ فدخل

ينهض الى مقابلة يليان : سيدي يليان!

الكونت يليان (يصافحه) : حييت فهل　　　انت مركادس؟

مركادس :　　　مولاي اجل

ثم يكب على يده يقبلها :

هات يا مولاي يمناك فقد　　　طال بي الشوق الى بعض القبل
ولقد اضبحت شيخاً فانياً　　　ونعى اليأس الى النفس الامل

ثم يرفع رأسه مستمراً في القول :

وهوىً لم يبق لي منه سوى   صور الاحلام مرت بالمقل

الكونت يليان (آخذاً بيده) :

تعال معي ولتحي يا خير صاحب

مركادس : لك الشكر كل الشكر لست بذاهب

(يجلسان على بعض المقاعد)

الكونت يليان : اتعلم اني كنت في الصيد؟

مركادس : سيدي — علمت او ماذا اصدت؟

الكونت يليان : اسنى الرغائب

مركادس مستغرباً : رويدك لم أفهم!

الكونت يليان : ستفهم

مركادس : ما الذي عنيت ؟

يليان : الا اسمع شرح تلك الغرائب

عمدت الى صيد البزاة ملبياً   للذ بيق اطوي الارض نهب السباسب

تغلغلت حتى اشتط بي الصيد مفضياً   الى العرب في امصارهم والمضارب

كادس: و كيف وجدت القوم

يان : لله درهم اشاوس ملء العين غر المناقب

اذا استصرختهم صيحة من مثوب الى الخير سالت ارضهم بالكتائب

تشق اليه السهل والوعر نجدة على الخيل ارسالا وفوق النجائب

الك ذكرت القوط والذكر موجع اكفكف من غرب الدموع السواكب

عفت أرضهم إلا من الظلم ممعناً يطأمن من شم الذرى والغوارب

مرابع ان تلمم بها بعد عزها سمعت دبيب الموت من كل جانب

كادس معيداً العجز :

سمعت دبيب الموت من كل جانب صدقت! وقد أحسنت وصف النوائب

كونت يليان : لعلك تدري بالذي هو شرها

كادس : أجل إن هتك العرض أخزى المثالب

ن (يجهش بالبكاء) :

فهل من معيري عبرة مستهلة تجدد من ماء الشؤن النواضب

فلم يبق لي من ذلك السيل قطرة تكون شفاء النفس عند المصائب

كادس :

الاي : حسبك كيف تيأس من غد والله مطلع على لذريق

فاطلب من العرب الذين ذكرتهم عون الصديق يشدّ أزر صديق

يليان :

مهلاً سأفعل . . بل فعلت . . ولم أنم والويل للمتهتك الزنديق

مركادس :

ووقيت نفسك من غوائل مزلق دحض ودفع الضيق عنك بضيق

يليان :

هو ما تقول ولست أجحد أنني مهدت يوم نهضت كل طريق

الخادم للكونت : لدى الباب فردينند

يليان : فليأت مسرعاً

فردينند داخلا : سلامٌ على مولاي

يليان : حييت من شهم

فردينند : لك الشكر كل الشكر !

يليان : فاجلس

فردينند : انا الذي عهدت

يليان : ونعم الذخر للحرب والسلم

مركادس لفردينند : لقد كنت ضيف القيروان فما الذي تقول ؟

فرديند : أجل مولاي كان على ء

مركادس : و كيف تظن القوم

فرديند : أبعد همة وأبغض خلق الله للغدر والظلم

مركادس : أتذكر موسى ؟

فرديند : كيف أنساه بعد ما تمتعت من جدواه بالكرم الجم

وإن لموسى السبق غير مدافع وأحرز حتى السبق في بسطة الجسم

هو ابن نصير أطول الناس قامة له العضل المجدول في الجسد الضخم

مددت اليه الطرف أنظر شاخصاً الى جبل عال من الشحم واللحم

ومن عجب الأيام أن ضخامةً تكون مثال الحزم أجمع والعزم

بليان لمركادس : أتسمع يامركادس الوصف؟

مركادس : سيدي سمعت

بليان : فكيف العرب

مركادس : ما كنت تذكر

بليان : وهل موضع للشك ؟

مركادس : لم يبق موضع

بليان : وهل تنكر استصراخهم ؟

مركادس : لست أنكر

يليان : ولم ترض عن لذريق !

مركادس : لم أرض لحظة

يليان : وما الرأي ؟

مركادس : غسل العار بالسيف أجدر

يليان :

سأغسل عني العار بالسيف مصلتاً فيسقط عن لذريق تاج مزور

فيا وطني المحبوب هل كنت منكراً لعهدك أو كنت امرءاً بك يكفر

ألست الذي استبسلت دونك غيرة عليك أشق النقع والنقع أكدر

ولم أخش بأس العرب يوم لقيتهم وقد فرّ عنك الروم والقوط تنظر

فكان جزائي عند لذريق أنه يدنس مني العرض والعرض أطهر

مركادس :

نشدتك يا مولاي لا يذهب الأسى بنفسك واشدُدْ منك فالأمر أيسر

ستثأر من لذريق والشعب كله يمدك والله الذي أنت تنصر

فرديند :

وطارق لم ينس العهود وإنني لأسمع منه الصوت بالدم يقطر

يليان :

نعم هو ما قد قلتما وذ كرتما　　فلا تجهرا بالسر !

مركادس وفرديناند :　　هيهات نجهر

يليان : وان غداً آتٍ

فرديناند :　　وفي الغد إننا　　سنحسر مسدول القناع ونظهر

يليان : أجل ! ووداعاً ! واشكر الله انه　　له الحمد

مركادس وفرديناند :　　أللهمّ إياك نشكر

﴿ يخرجون ، يليان من ناحية و مركادس وفرديناند من الاخرى ﴾



المشهد الثالث

الفنس كاتب السر للكونت يليان وبين يديه منضدة عليها أوراق مبعثرة ،
البرت صديق الفنس و أحد وجهاء القوط

الفنس مناجياً نفسه :

انا الفنس ! ومن يجهله ان في القوط له الذكر العميم
كاتب السرّ ليليان وكم حدّث المرقم عنه والرّقيم

ملتفتاً حوله :

ما الذي أسمع ؟ صوت خافت ! من عسى القادم ؟

البرت داخلا : ذو الشوق القديم

أنا البرت الذي تعهده لك خدناً

الفنس مصافحاً البرت : إنه الخدن الحميم

مرحباً فاجلس :

البرت : لك الشكر وما انا بالجالس فالرّزء جسيم

الفنس :

أيّ رزءٍ هو ما الرّزء سوى نزوة الوهم من الفهم السقيم

البرت متمشياً حزيناً :

أين يا الفنس ألقى المسعدا   ولمن أذكر حظي الأنكدا
انا لا أحمل إلاّ كمداً   ينهش الصدر ويوهي الجلدا
قدرٌ يعبث دون الناس بي   ولقد أرصدَ لي ما أرصدا
فهو لا يظلم مثلي أحداً   وهو لا يغفل عني أبدا
فإذا استفتحتُ باباً سدّه   وإذا استصلحتُ أمراً أفسدا
شفني اليأس فما ينبض لي   أملٌ يؤنس حولي العوّدا
نفضوا الأيدي مني لم يروا   بعد طول الصبر للصبر يدا
ايها المنتظر الدهر سدى   كيف لا تفتأُ ترجو المددا
ما الذي تأمل من يوم غدٍ   كلّ يومٍ كان بالأمس غدا

الفنس مباسطاً :

نشدْتك لا تجزعْ ففي الغدِ نهضة   سترغمُ منك الأنف ان تحمد الغدا

الفنس مستلا خنجره ليطعن نفسه :

أيا خنجري !

الفنس قابضاً على يده : قُبّحت أغمده ! ما الذي أصابك ؟

البرت مقاوماً :   دعني، الموت أعذب موردا

الفنس منتزعاً منه الخنجر : ألا اجلس !

البرت يجلس مغلوباً :   نعم

الفنس مستمراً : واسمع عن القوم قصةً تسرُّك

البرت جالساً كئيباً : هات

الفنس متحمساً : اربطْ على القلب ايّدا

مضى الملك الشرعي غيطشة الذي تفرّد بين القوط حزماً وسؤْددا

«وايبا» و«سجبوت» الاميران بعده فانهما نجـلاه فرعاً ومحتدا

وعمهما (اوباس) في الدير أسقف وفي الدار لم ينس الحسام المجرّدا

اولئك بيت الملك في القوط وحدهم يؤيدهم يليان بالرأْي مرشدا

وان هي الا صيحة يرسلونها فننفخ حتى في الجماد التمردا

ويسقط لذريق الدعي وإننـا لنأْنف ان نرضى الدعيَّ مسوّدا

قد اغتصب التاج المصون تحيلاً فكان على القوط البلاء المجسدا

البرت :

أأَنتم عصبة المتآمرينـا أأنتم تنصبون لنا الكمينا

الفنس : أُحذّرك الهراءَ !

البرت : سكتُّ فانطق

الفنس : سنصمد للعدُوّ مشمرينـا

وإن العرب بين يدي هجوم يدكُّ الأَرض بالمتجبرينـا

علمت بوعدهم فوثقت أني فتحت به المعاقل والحصونا

تنقل بينهم يليان دهراً فسل يليان يخبرك اليقينا
فليس كعدلهم في الحكم عدلٌ ولا اعترضوا امرءاً لغةً ودينا
وكيف أخاف منهم أي نكثٍ

البرت: ألستَ تخاف نكث بني أبينا؟

لسوف تمجهم وتشيح عنهم وهم يتملقون الفاتحينا
ومن أمن الحوادث وهي غدرٌ فقد جهل التجارب والسنينا

الفنس مبتسماً:

رعاكَ الله كم لك من معانٍ ترقّ فتسترقُّ السامعينا
كشهد النحل حتى ان فيها من النحل القوارص والطنينا
أتنكر صدق يليان المفدّى ؟

البرت: ومن ذا ينكر الصبح المبينا

الفنس:

فدَع ما تدّعيه وكل خوف يحملك الوَساوس والظنونا
وما ابن نصير غير حليف صدق تطوّع ان يكون لنا معينا

البرت: وهل يرضى الإِياب

الفنس: نعم بمال يكون له الجزاء وقد رضينا
هو ابن القفر يمقت أي ملك وراء البحر يقحمه السفينا

البرت (ثائراً من مجلسه) :

إليَّ يا ذكريات المجد والحسب ... واخرجن من حجب الانقاض والحقب
وار كضن من كل غيب واجتمعن على ... يليان واهتفن : فيم الذل للعرب
وابكين واجمعن دمع القوط منهمراً ... من كل معولة شجواً ومنتحب
وابلان منه ضلوعاً قد سمعت لها ... من حرقة الغيظ صوت النار في الحطب
وأين هن العذارى يجتمعن معاً ... يجثين بين يدي يليان للركب
يقرعن ضرباً بأيديهنّ من كمدٍ ... صدورهن ويستعطفن في الطلب
عساه يرحمُ شعباً ضجَّ من فتن ... تستهدف الوطن القوطي للعطب
مولاي يليان يا من لست أُنكره ... يا غير متهم في الفضل والحسب
أتأمن ابن نصير وهو داهيةٌ ... وكيف تدرأُ عنك الشر إن يثب
أصادق وسياسي ؟ أما انكشفت ... لك السياسة ان الصدق في الكذب
تكلمي وانطقي يا كل شامخةٍ ... من الهضاب وهزي الارض من صخب
ألمْ تعرْك خطوب الدهر ألسنةً ... تصيح بالويل بين القوط والحرب

يطعن نفسه بالخنجر :

يا موت فاحمل ويادنيا اذهبي فلقد ... عفت الحياة وان اللحد أجمل بي

الفنس صائحاً مكباً عليه :

ألا فاهرعوا ياقوم! أواه ما الذي ... أراه ؟ أألبرت المضرّج بالدم
اليّ ! .. إلى البرت !

الخدم متسابقين : لبيك إننا لديك !

الفنس مشيراً الى جثة البرت : . . . ولكن مات ! . . يارب فارحم

الخدم (لالفنس) : لقد مات ! فلنحمله !

الفنس للخدم (يحملون الجثة) : هاهو فاحملوا الى الرَّمس حرُّ النفس غير مذمَّم

الفنس (ماشياً وراء الجثة) :

وإن هي الاَّ طعنةٌ منه أجهزت عليه وما البرت عندي بمجرم

يرفع يده مهدداً :

لك الويل يا لذريق أَنت قتلته ستندم لكن لات ساعة مندم

يسدل الستار

الفصل الثالث

المشهد الاول

الملك لذريق على عرشه متوجاً باللآلىء متشحاً بالحرير والذهب وحوله
أمناؤه الثلاثة ونديمه ، أريك قائد الجيش ، رسول تدمير
حاكم الساحل الاسباني

الامين الاول :

مولاي يا ملك البلاد تحيةً | لك ان كل الخير من لذريق
والقوط طوع يديك كيف أمرتهم | يثب الفريق فداك اثر فريق

الملك لذريق : إني لأعرف حبهم

الامين الاول : هو كله | لك رغم أنف الافك والتلفيق

الامين الثاني :

ولقد خسأت المرجفين بكيتهم | وبكل عضب الشفرتين ذليق
ورجعت من حرب العصاة وانهم | ملأوا الشمال بزفرة وشهيق

الملك لذريق : هو ما ذكرت

الامين الثالث : ونحن حولك عصبةٌ والدهر يكشف كنه كل صديق

نديم الملك :

تباً لغيطشة الرقيع فلم يذق نعَمَ القصور وعاش حلف الضيق

الملك لذريق : أُحسنت لست أُطيق أي تكلف

نديم الملك : ان الكريم السمح غير مطيق

الملك لذريق مازحاً : قل ماتودُّ وكيف كنت ؟

نديم الملك : موفقاً في اللهو أذهب فيه كل طريق

ولقد جررت الذيل بين صبابةٍ غلبت عليّ وبين كأْس رحيق

فحملت في طيّ الضلوع وفي يدي نارين تعتوراني بحريق

وممنّع صعب الشكيمة ذل لي فشفيت منه النفس غير رفيق

وشددت بالشفتين أَعصر خمرة من وجنتيه أَشجها بالريق

﴿ يبتسم الملك ويهم بالكلام فيفاجئه الحاجب داخلا عليه الرهة ﴾

الحاجب (في بغتة) : مولاي

الملك لذريق : مالك ؟

الحاجب : وافدٌ يتلهف

الملك لذريق ، من أين

الحاجب: لم ينطق ولا هو يعرف

الملك لذريق : فليأتْ

الحاجب: سمعاً للمليك وطاعةً

الوافد (داخلا) : أزكى السلام على المليك وأشرف

الملك لذريق : من أين ؟

الوافد: من تدمير !

لذريق: هات كتابه

الوافد (يدفع الكتاب): لبيك

الامين الاول (لرفيقه مشيراً للملك همساً) : أصبح محنقاً يتأفف

لامين الثاني (للاول مخافتاً) : ما الظن عندك ؟

الامين الاول : قصة عن مارق

الامين الثاني : أو ثَمَّ فرية طامعٍ يتزلف

الامين الاول: أو ان تلك مكيدة منصوبة للعرش

مين الثاني : أو هي سخف أهوج يهرف

الحاجب ، مولاي جاء أريك قائد جيشكم

الملك لذريق : أَدخلهُ واعجل !

الامين الاول (للثاني) : رقة وتلطف

القائد أريك (داخلا) : حييت ياملكي المبجل

الملك لذريق : مرحباً واجلس . . فبعد غد يطول الموقف

القائد أريك (يجلس مستغرباً) : مولاي فيمَ وكيف؟

الملك لذريق : دونك رقعة واقرأْ فليس لديَّ من أتخوف

القائد أريك (يقف قارئاً) :

لك يا سيد الملوك سلامٌ ورعى الله عرشك المأمولا

نحن في الحرب نستميت دفاعاً وأبى الله ان نبل غليلا

لست أدري الغزاة كيف غزونا ومشوا في البلاد عرضاً وطولا

أمِنَ الجوِّ يهبطون رجوماً أم من الارض ينبعون سيولا

فالبدار البدار بالقوط شعباً وجنوداً وبالرياح خيولا

تدمير

الامين الاول متحمساً :

مولاي نحن عبيدك الأُمناء فأْمر ! وقل ! ولينخسأ الجبناء

الامين الثاني متحمساً :

يا ويح تدمير الضعيف فإنه طلب الحيـاة ولم يزعه حياء

الامين الثالث متحمساً :

ان النفائس والنفوس بأَسرها لك ما حييت وما أَردت فداء

الملك لذريق : شكراً لكم فلقد عرفت ولاءكم

الامين الثالث : ولسوف تعرف بأُسنا الهيجاء

الامين الاول :

تلك العصابة لو نظرت كاختها بالأَمس يوم طغت بها الانباء

فلقد أُتت وتلصصت ثم اختفت من بعدما اضطربت لها الارجاء

كان ابن مالك الزّعيم لامرها ركب الصعاب ولم يعنه ذكاء

بلغت سفائنه الحقيرة أرْبعاً وجرت تقهقه خلفها الأُنواء

نديم الملك :

أَنالست أخشى العرب أو شذاذهم والغزو يشهد أَنهم سفهاء

الملك لذريق لاريك : ماذا يقول أَريك؟

القائد اريك : ان مقالهم هو ما سمعت وعندك التدبير

الملك لذريق : ومن ابن مالك الزعيم؟

القائد اريك : هو الذي يدعى طريف وانه لشهير

ولقد تعرّض للبلاد بغزوةٍ هي خطة ابن نصير يوم يغير

يرمي بها غرضين ، يسبر غورنا فيها ، ويطمع جيشه ويثير

وطريف كان طليعة الفئة التي زحفت وعيّ بأمرهـا تدمير

فالجوّ أ كدر والعدو مشمرٌ فمتى المسير ؟

الك لذريق : غداً إليه نسير

لامين الثالث للملك :

مولاي ذكرني الحديث بخائن لك في طليطلةاستطاب المرتعا

قد عاد من أنحاء طنجة بعد ما حمل الحديث عن العدو مروّعا

هو تاجر منا

لك لذريق مغضباً : اطرحوه مكبلا في السجن !

امين الثالث : هب لي الاذن منك موقعا

لك لذريق كاتباً على ورقة : فاحمله اهاهو ان قولك حجة

امين الثالث : شكراً ! ومن يخذلك ضاع وضيعا

لك لذريق للقائد : قم يااريك الى الجيوش مشمراً

القائد اريك : لبيك

الامين الاول : والجلساء؟

الملك لذريق : فلنذهب معاً

﴿ يخرج الملك لذريق ووراءه المجلس كله ﴾



المشهد الثاني

احرار الاندلس في السجن : مرتين ، اردون ، مورنتس من النبلاء والزعماء ، برمند من الشبان ، مرتل من التجار ، ردمير قيم السجن

مرتين بجر القيود :

هل يعلم السجن اني منه في نعم ... وان لذة نفس الحر في الألم

فلا الطغام تمج العين رؤيتهم ... ولا اللئام تدس السم في الدسم

أصبحت فيه اجر القيد مغتبطاً ... والقيد في الرجل غير القيد للهمم

برمند: لله درك يا مولاي

اردون : نحن كما تحب

مورنتس : والسيف طي الجفن لم ينم

مرتين :

ان السلاسل والاغلال حليتكم ... قد اهديت كرماً من غير ذي كرم

فمرحباً بخطوب الدهر مطبقة ... وما الخطوب سوى التمحيص للأمم

اني لاسأل ربي ان يضاعفها ... حتى تطهركم من كل متهم

اردون :

ايه يا برمند كم اطربتنا بحديث لك كالسحر الحلال

غنّ ان شئت وان شئت فقل نطلق الانفس من قيد الملال

برمند :

أرهفوا السمع فقد تعجبكم قصة تصلح للقوط مثال

مورتس :

انا نطلب ان ننسى الاسي لا الذي يؤثر عن قيل وقال

برمند : هيا اسمعوا !

اردون: قل ما تشاء فكلنا أذن

مورتس : عساك تخفف الأشجانا

برمند :

قد كنت ضيف العرب منذ هجرتكم وفرزت فاستصفيتهم اخدانا

ولقد عرفت فتى المروءة بينهم ونسيت يوم عرفته الأوطانا

هو (سعد) أنضر من رأيت شبيبة فيهم وأسمح من لقيت بنانا

ما انفك ان ذكرت طليطلة التي فتنته ينشج باكياً ولهانا

مورنتس :

ولعلَّ سرّ الامر اسبانيـة جعلته يعشق بعدها الاسبانا

اردون : سلبته

مورنتس : أَو هي في يديه سليبة

مرتين : ولئن رمته فلقد نراه رمـانا

اردون : هو عاشق !

برمند : أَحسنت !

مورنتس : قل ما اسم التي خلبته

برمند : اسبل دونه الكتمانا

ولشدّ ما غني وناح ولم أَزل في السجن أَحفظ شعره الرنانا

مورنتس : كن سعد وابك وغنّ

برمند : سوف أهز كم بالشدو

مورنتس : هات وشنف الآذانا

برمند : إليكم من الشعر الجمان المنظما

مورنتس : تغنّ

برمند : نعم إني أجيـد الترنما

ثم يندفع مغنياً:

رعى الله ريماً من بني القوط اهضما ... يمثل للخلق الجمال مجسما
تبارك من أولاه حسناً وعفةً ... هما هتكا ستري عفى الله عنهما
وقد لمعت بالأمس منه ابتسامة ... أضاءَ لها القلب الذي كان مظلما
فأقصرت من همي وأطلقت من يدي ... وملت مع الآمال نشوان مغرما
أُغاضبه حتى كأني عدوّه ... فيعرض عني عابساً متجهما
وما أنا إلاَّ مستعينٌ بحيلة ... لأَلثمه مستعطفاً متندما
وما أنس يوم القرب لا أنس أيكة ... كستها يد الوسميّ برداً منمنما
تحفُّ بنا من كل أَوبٍ غصونها ... ويلحظنا نوارها متبسما
ومرَّ نسيم الروض يسحب ذيله ... ينازعنا سرّ الحديث مهينما
فعاد وفي أردانه من دموعنا ... ندىً بات بين الزهر نهباً مقسما

مورتس:

قد أحسن العربي في أقواله ... وأجدتَ في الإنشاد حذوَ مثاله
فنسيتُ همَّ السجن حتى خلتني ... لم أحمل الاثقال من اغلاله

﴿ يسمع صوت من الخارج ﴾

برمند : مهلاً

مورتس : اجل صوت يضج

اردن : وانة

مرتين: ومن الذي في القوط لم يتألم

برمند : قرب الصياح

مورتس : صدقت

اردون : تلك فريسة للسجن

مرتين مشيراً الى الباب : ها هي فيه تقطر بالدّم

برمند للسجين الداخل : أهلاً بصاحبنا الجديد

السجين الجديد مستغرباً : رويدكم أأنا الصديق لكم؟

السجناء : نعم

السجين الجديد : لم أفهم

انا مرتل المظلوم

برمند : إنك مثلنا

السجين الجديد : أنا مثلكم ! يارب فاغفر وارحم

برمند :

هوّن عليك فليس سجنك سبةً ولسوف تعلم عنه ما لم تعلم
ما السجن إلا للكريم وانما صدر المجالس للأثيم المجرم

مرتل :

أنا تاجر وسكنت طنجة حقبة ورجعت يوم علمت غزو بلادي
فلقد شهدت رجوع سعد مبشراً بالحرب تحت رئاسة ابن زياد
رفعت له العرب العماد تحمساً وسمعت ضجة حشدهم في النادي
قد عاد يحمل من وليّ شؤونهم في القيروان الاذن للقوّاد
هو كان موفدهم إليه

برمند : لعلّه سعد المتيَّم

مرتل : سعد حية وادي

هو من عرفت ومن جهلت وفي غد فتراه يخطر بالقنا المياد

مرتين : الحرب مقبلة

مرتل : واحسب أنها نشبت وان اليوم يوم جلاد
لذريق هرول بالجيوش تلاحقت والشعب بين تصايح وتناد

مرتين: عجباً و كيف سجنت

مرتل: قلت محذّراً للقوط ان العزب بالمرصاد

فجدعت بالانذار أنف عتوهم فمشوا بأنيابٍ إليّ حِداد

اردون: ظنوك حزباً للعدو

مرتل: فويحهم حزب العدو هو الصديق العادي

مرتين متحمساً:

عظم البلاء فسدّوا الأقوالا ان البلاد تصارع الأهوالا

برمند قارعاً باب السجن بشدة:

ردمير فافتح

ردمير من الخارج: كيف افتح

برمند: إننا سنحطم الأبواب والأقفالا

هي دعوة الوطن العزيز ولم نكن عن دعوة الوطن العزيز ثقالا

أتخون قومك والحتوف تنوشهم

ردمير: برمند!

برمند: مالك؟

ردمير: قد طلبت محالا

مرتين: أَولست يا ردمير تذكرأنني مرتين

ردمير: أَذكر مطرقًا إِجلالا

مرتين: أَنسيت كيف رأَيت صدعك

ردمير: لم أَكن لك بالكنود

مرتين: فهل صدقت فعالا

ردمير: لبيك !

مرتين: فادخل آمنًا

ردمير فاتحاً الباب: أَنا داخلٌ

مرتين مصافحاً ردمير: أَهلاً بأَنبل من عرفت خصالا

ردمير ان القوط قومك لم ينوا تحت العجاج تغلغلاً ونصالا

ردمير: هو ما تقول !

مرتين: لقد علمت بأنهم يتدفقون أسنةً ونصالا

فافتح لنا الأَبواب

ردمير: تلك جريمة

مرتين: ومن الجرائم مايكون حلالا

أَوَليس قومك في القتال ؟

ردمير : بلى انبروا للحرب

مرتين : فافسح للكماة مجالا

أيكون ذنباً أن تعزز جيشهم فتمدهم وتزيدهم أبطالا

إني لأقسم أن نعود اذا انقضت تلك الخطوب ونحمل الأغلالا

مرتل : بالله بالوطن العزيز ترفقاً

برمند: أو لست تعقل أم تريد جدالا

اردون :

لدريق سوف يكون أول شاكر لك حين يرجع ظافراً مختالا

بالامس كان هو العدو تسخطاً واليوم أصبح موئلا وثمالا

مرتين :

سنذود عنه بكل أبيض باتر ونموت دون حياضه استقتالا

اليوم يوم القوط كل عداوة ذهبت ومن طلب العلو تعالى.

ردمير : أنا لا أكون أخا الخساسة بينكم

برمند : شكراً

مرتين : صدقت !

ردمير يفك قيودهم : فشمروا الأذيالا

ولسوف أُطلقكم وأَحمل دونكم عبءَ القيود ولا أَخاف نكالا

إن مت من أَجل البلاد فقد قضت مثلي الأُلوف تقحماً وصيالا

هيا اخرجوا من سجنكم وقيودكم

السجناء وقد فكت قيودهم : فلتحي

بردمير : وليحيَ الرجالِ رجالا

(يخرجون)



المشهد الثالث

الكونت يليان ، الامير طارق ، سعد ، وحسان ، وصالح ، وعامر ، وابن خطاب ، الجنود والقواد من القوط و العرب ، نبيل قوطي ، ردمير ، مرتين و اصحابه السجناء ، هارون واصحابه اليهود ، الامبراطور لذريق ، ايثير ، المغيث فاتح قرطبة ، زيد بن قاصد السكسكي فاتح مالقة

الكونت يليان متمشياً أمام المخيم العربي في فحص شريش مناجياً لذريق :

لذريق! ويحك أين تذهب في غد — هل بعد ربعك نجعة ترتادها
ملكت عليك العرب كل ثنية — فانظرْ فثمّ كماتها وجيادها
وبكل مطرور الشباة مهند — من فوق محبوك السراة طرادُها
لهفي عليك وقد أهبت بعصبة — لك فاجتوتك ومال عنك ودادُها
لم تغسل الحسرات صبغ ذؤابة — منها ولا انفطرت جوى أكبادها
خنعت ترنحها الاكف تلاحقت — صفعاً و كم شمخت لديك صعادها
وتكسرت فيها الاظافر فانثنت — خضع الرقاب عتية أصفادها
كم آمنت بك وهي تلحد خفية — واعف من إيمانها إلحادها
تالله ما خفيت حقائق أمرها — الا عليك ولا استسر فسادها
هي من غراسك أخصبت بك طفرة — واحث ما تلد الفلاة قتادها

هجع الذين رأوك تسهر مرهقاً   واستتبّ بعدك للجفون رقادها

إني لاعجب من سواد عيونهم   ان يبصروك فلا يشيب سوادها

قد كنت اشبه بالبغي فان رأت   كرماً أبت وطغت ولجّ عنادها

واذا استخف بها الزنيم تهتكت   شغفاً واصبح في يديه قيادها

لو كان رأيك في الكريم موفقاً   لرأيت نفسك والكريم عتادها

ان لم يعنك بكى عليك فرفهت   عنك اللواعج دمعة تزدادها

سعد يظهر بغتة : من ذا المدجَّج بالسلاح

يليان : صديقكم يليان

سعد : عاش صديقنا يليان

يليان : أهلاً بسعد! أين تقصد؟

سعد : أنت لي قصد

يليان: فها أنا

سعد : هكذا الإخوان

يليان ناظراً حوله :

عجباً ألست ترى السفين فانها   يا سعد تحرق والفضاء دخان

سعد : هي نار طارق !

يليان: أين عقلك ما الذي يعنيه ؟

سعد : أَن يستبسل الشجعان

ولقد أَهاب بهم لسان لهيبها أَن لا مفرّ وفي اللهيب بيان

بليان: للهِ درّ أبيه !

سعد مشيراً الى الخيم : ها هو زاحف بالجيش يملأ صدره الايمان

﴿ يدخل الامير طارق وجيشه ﴾

الامير طارق ملقياً خطبته :

ألا أين يا قومي المفرّ ! وما العذر وقد كشرت عن نابها الفتكة البكر
أَمامكم الأعداء والبحر خلفكم وليس لكم إلا العزيمة والصبر
وأَنتم من الأيتام أَضيع موقفاً بمأدبة القوم اللئام وهم كثر
كذلك بتم في الجزيرة إنها لمنزلكم بالعزّ أو انها القبر
تلبب بجتاب الدلاص عدوّكم له الوفر والأقوات والجحفل المجر
ولا وزر ترجون غير سيوفكم وما الذخر إلا أَن تكون هي الذخر
وما القوت إلا ما ابتززتم من العدى فتطعمكم من جنيها البيض والسمر
وان تطل الأيام والفقر حظكم ولم تنجزوا أمراً فقد قضي الأمر
وأصبح رعب الناس منكم تجرؤاً عليكم ولم يرحمكم الناب والظفر
فيا هول عقباكم وخذلان أمركم اذا لم يكن للعسر من بأسكم يسر

وطاغية القوم انظروه فقد رمت إليكم به المدن الحصينة والقصر
لقد أمكنتكم نهزة فيه فاسمحوا لأنفسكم بالموت وليشهد الدهر
أجل انا منكم لست عنكم بنجوة وان ادع لم أحجم ولم يلوِني الزجر
وسوف أشق النقع أبدأ قبلكم بنفسي — فإما الحتف فيه أوالنصر
وإن أمير المؤمنين يخصكم بمغنم تلك الأرض نائله الغمر
تكون لكم صرفاً وبين ملوكها وبينكم القربى الوشيجة والصهر
ويا ويح طاغيهم وحامل وزرهم ستملأ سمع القوط صرخته النكر
وإن هو إلا طعمة السيف وثبة عليه ويغشى القوم من بعده الذعر

﴿ الجيش الغربي ينشد هاتفاً وهو زاحف الى الميدان مغادراً المسرح ﴾

لبيك نحن العرب نحن السيوف القضب
نحن الألى تعهدهم دم العدى موردهم
نرهف غرب الهمم تحت ظلال العلم
والروح من أجل الوطن تبذل من غير ثمن
فاصدم بنا الدهر فما نرهب منه النقما

﴿ يخرج الامير طارق والجيش العربي ﴾

يدخل نبيل قوطي من الجانب الاخر يتعهد الساحة

أين العدو؟ فإني لست أُبصره فهل تبدّد قبل الزّحف عسكره

وأين يليان يثني العطف منتفخاً عجباً! فهل فرّ ممن كان ينصره

أهلاً فثمّ جيوش القوط مقبلة ولابس التاج والحجاب تخفره

والشعب يهتفُ والأعلام خافقة وللسيوف صليل لست انكره

﴿ يدخل الملك لذريق و رهطه ﴾

الملك لذريق : أريك!

القائد اريك : نعم سمعاً!

الملك لذريق : هنا الموقف الذي أُريد

القائد اريك للملك : أجل مولاي

القائد اريك للجند : قفْ أيها الجند

الملك لذريق جالساً على كرسيه: أريك! لقد أحسست ردمير بينكم

القائد اريك ماثلا بين يدي الملك : أجل هو يا مولاي يصحبه الوفد

ردمير يظهر فجأة : سلامٌ على مولاي!

الملك لذريق : قل كيف خنتني فجئت؟

ردمير : معاذ الله أن يأُبق العبد

أنيت وصحبي !

الملك لذريق : أين صحبك ؟

ردمير مقدماً أصحابه : كلهم لديك

الملك لذريق مغضباً : أأعدائي هم الصحب والحشد

أأطلقتهم من سجنهم ؟

ردمير : تلك خدمة لعرشك

الملك لذريق مهدداً : أفٍّ أيها المارق الوغد

امرتين لي خدن؟

مرتين : أمولاي انه لسيفك لم يخذلك ان نبت الهند

لئن كنت لم أخلص لك الودّ إنني قدِمت وصدري اليوم يترعه الوِدُّ

ومن يك مثلي محتداً وسلالة يحبك ولم يصدده غِلٌّ ولا حقد

وإنّ هوى الأوطان يجمع بيننا

الملك لذريق مصدقاً : صدقت هو الميثاق يبرم والعهد

إليك يدي مرتين

مرتين مصافحاً الملك : بور كت من يدٍ تهزّ لواء القوط يكلأه المجد

ومن حوله الابطال مثنى وموحداً وضافية زغف وصافنة جرد

إليَّ معًا يا أَيها الصحب واهتفوا

مرتين وصحبه هاتفين : ليحيَ مليك القوط

الملك لذريق رافعاً يديه الى السماء : ربِّ لك الحمد

ديدبان القوط : زحف العدوّ

الملك لذريق : الى السلاح بدارِ وانهض «اريك» بجيشك الجرارِ

القائد اريك : سمعاً !

الملك لذريق : سأرقب بأسكم ونزالكم

القائد اريك : ولسوف تشهد كيف أخذ الثارِ

(يخرج اريك)

الملك لذريق : مرتين !

مرتين: ها انا !

الملك لذريق : أَين صحبك ؟

مرتين: انهم مولاي بين يديك شعلة نارِ
يتحرّقون على العدُوِّ حميةً للطعن !

الملك لذريق : بورك في حماة الدار :
إني لأَذكر سجنكم فيمرُّ بي ندمُ المصيخِ لفرية الأَشرار

مرتين :

مولاي انك قد عفوت تكرماً   والعفو يَملك أَنفس الأَحرار

وكفى الجناة على البلاد عقوبةً   عِلمُ البلاد اليوم بالأسرار

الملك لذريق : هياً انظر واحمي الوطيس !

مرتين : نعم مشت   قُدُماً رجالك تستميت وتهجم

الملك لذريق : لله يامرتين صحبك انهم   خاضوا الغمار !

مرتين :   ومثلهم لا يحجم ؟

الملك لذريق : إِيهِ صدقت !

الامين الاول : ولكنِ انظر مشهداً   يُدمي القلوب وكيف ينهمر الدم

الامين الثاني (مشرئباً) : لهفي على اردون ! . . خر مجندلاً

الامين الثالث (مرتعداً) :   ولقد تخطف صاحبيه المخذم

مرتين (متوجعاً) : أَواهِ !

الملك لذريق : هل قُتل الأَحبة ؟

مرتين متاوهاً :   انهم   قتلوا

نديم الملك :   وفيم نقيمُ

الامين الثاني :   هل من يرحم

الامين الثالث (صارخاً) :

مولاي فرّ الجيش بين مروع   هلعاً وبين مضعضع يستسلم

الملك لذريق (مشاهداً الهزيمة) :

ويلاه هل بدأَت نهاية سوُددي   يادهر ويحك لوصبرت الى الغدِ

للأمناء الهاربين حوله : مهلاً ! . . . الي ّ ! . . وأين سابق عهد كم

نديم الملك (بين الهاربين) :   ان المقيد فيه غير مقيد

الملك لذريق :

أَين الصواعق والزلازل ويحكم   ليت الصواعق والزلازل في يدي

وا شقوتاه ارى الصديق هو الذي   ركب الرياح وفرّ طلق المقود

وأَشدّ من شؤم الهزيمة وطأَة   مرأى الخيانة وهي منك بمشهد

مرتين !

مرتين : يا مولاي

الملك لذريق : أُبصر فارساً   إِياَّيَ يقصد !

مرتين طامحاً ببصره :   أَين ؟

الملك لذريق مشيراً بيده :   ها هو ! فابعد !

مرتين (معاتباً) : هيهات كيف أفر ؟ كيف جهلتني ؟

سعد (مداهماً) :   انا سعدٌ المعروفُ

مرتين (هاجماً) : لستَ بِسعدَ

مرتين (مجندلا) : مولاي !

الملك لنريق (هاجماً) : يا للثأر !

حسان (واثباًمن الخارج بغتة) : ويحك انني حسانُ

الملك لنريق : كن من شئت !

حسان (ينازله) : دونك وازدد

﴿ يتبارزان ثم يقتل لنريق ﴾

سعد (هاتفاً) : ألا فاهنأوا قتل الطاغيه

عامر وصالح (هاتفين) : ولم يبق من جيشه باقيه

وجيه قوطي (يظهر فجأة): انا جئت

سعد (مشهراً السيف) : ويلك من تكون

الوجيه (هادئاً) : ضحية للشعب !

سعد (مغمداً سيفه) : مثلك حقه الإعظامُ

حسان (لصاحبيه) : مهلاً عليه

الوجيه : أتسمحون بدمعة فوق القتيل

سعد (باحترام) : نعم ونحن قيام

الوجيه القوطي جاثياً حول جثة لذريق :

لهفي عليك ولا أُعاتب من جنى فغداً ستبرِمُ حكمها الأَيام

لم يبق حولك من ذويك منافق ولقد يكون لهم عليك زحام

ولئن هجرتك بعد خدمة حقبة فقديم عهدك حرمة وذمام

انا لا أَقول لك الظلوم وانما قد عزَّ تحت لوائك الظلاَّم

واليوم يبكيك الذين جفوتهم انَّ الذين جفوتهم لكرام

ثم ينهض مخاطباً سعداً : ياأَيها العربي دونك وامض بي

سعد (حائراً) : لله درك من تكونُ

الوجيه القوطي : أسيرُ

سعد (متحمساً) : أُنا ان أَردت لك الأَسير تطوعاً

القوطي: شكراً

سعد : ومثلك بالثناء جدير

صالح : حتى مَ يحجبك الرداء مجلِّلاً لك

الوجيه (خالعاً الرداء) : قدْ سَفرْتُ

سعد (خائراً وقد راى الشعر متدلياً) : أأَنتِ يا إِيثير

عامر: الله أكبر غادة لا فارس !

حسان لسعد: يا سعدُ مالك ؟

صالح لحسان: أنةٌ وزفير

حسان (آخذاً بيد سعد) : انهض فحسبك

سعد (مشيراً الى ايثير) : انها هي

حسان (لسعد) : ما الذي يشجيك ؟

سعد : انك بالشجون خبير

اليوم تمَّ النصر

ايثير : كيف خدعتني بالأمس ؟

سعد (معتذراً) : كيف يُتاح لي التكفير

ايثير (مشيرة الى النا حية الاخرى) : هجمت رفاقك والأسنة شرع

سعد(متحمساً) : هيهات يقرب من حماكِ مغير

حسان :

هيّاً اذهبا فالجيش أقبل كله خبباً وطارق في الأمام يسير

(يخرج سعد وايثير)

يدخل الامير طارق ومعه القواد وبعض الجيش فيخاطبه المغيث مشيراً الى جثة لذريق

المغيث : لذريق ههنا بالدماء مضرّجٌ

الامير طارق : من مات دون الملك فهو كريم

هياً احملوه الى الضريح مبجلاً

بعض الجنود يحملونه : سمعاً

الامير طارق (ينظر اليه محمولا) : أَجل رزءُ العظيم عظيم

المغيث :

غسل الدمْ المهراق أية سبة سبقت اليه فقيل عنه أَثيم

زيد بن قاصد :

عجباً وأين هم الحماة فإننا لم نلق بين يديه غير قتيلِ

حسان :

مضت الخيانة بالجموع تفلّهم فنأى الرّعيل يفرّ إثر رعيل

ومن الكثير عليه فردٌ واحدٌ

زيد بن قاصد : ان الأَمين الفردَ غيرُ قليل

الامير طارق : هياً ادفنوه فللوفاء كرامة

بعض الجنود (يحملونه) : لبيك

المغيث (ناظراً الى الجثة المحمولة): بورك من أخٍ وخليل

الامير طارق: أين المغيث؟

المغيث (ماثلا أمامه): نعم

الامير طارق: سر نحو قرطبة

المغيث: سمعاً لمولايـ

الامير طارق: واصحب رهط يليان

﴿ يخرج المغيث ورهطه ﴾

الامير طارق: وأنت يا زيد فازحف شطر مالقةٍ

زيد بن قاصد: طوعاً لأمركَ

الامير طارق: واقمع كل طغيان

﴿ يخرج زيد ورهطه ﴾

هارون (حوله اصحابه): هنا اليهود تزف التهنئات لكم

الامير طارق: أهلاً بكم

ابن خطاب: قد عززتم بعد خذلان

وحقق العرب ما ترجون من فرج

هارون و اصحابه : لا زالت العرب في عزٍ وسلطان.

القواد والجند : وليحيَ طارقُ

الامير طارق : عاش الجند موءتزراً بالمجد منتصراً في كل ميدان

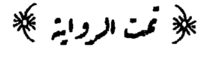
لقد ظهرنا على الاعداء قاطبة في البر والبحر من قاص ومن دان.

لم تغن كثرتهم عنهم وعدّتهم ولا التطاول في ملك وبنيان

وكيف بالنصر والايمان يُعوزُهم ولم تَفزْ أمةٌ من غير ايمان

الى الأمام . . . وشدوا من عزائمكم الى طليطلةٍ من شِعْبِ جيانَّ.

يسدل الستار وطارق باسط يده مشيراً الى ناحية طليطلة وهو ينشد البيت الاخير



جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
وبصف	بوصف	٤	١٢
تدمر	تدمير	٧	السطر الاخير من الهامش الثاني
برام	أبرام	٨	السطر الاول
.مير طارق	الأَمير	١٧	١٢
.أُذُنيه	أُذْنيه	٢٠	١٥
.مثلِيَ	مِثْلي	٢٥	١٠
لامير	الأَمير	٢٦	٤
لامير	الأمير	٢٩	٩
سعيد	سعيد ــ الشاب الثاني	٣١	٣
ن	إنْ	٣١	١٢
مخبر	مخبرا	٣٢	١٢
فانتقضت	فانتفضت	٣٦	٧
يا عذر	يا عذرا	٤٠	٦
إِلْفتِهم	أُلفتهم	٤٣	٣

خطأ	صواب	صفحة	سطر
حدىا	حدبا	٤٣	٧
صَدَّقَ	َصدَقَ	٤٣	٩
في الذ كر	بالذ كر	٤٤	٥
واشكر	واشكرا	٥٥	٦
وابىا	وإيبا	٥٨	٥
فنفخ	فتنفخ	٥٨	٨
حُرٌّ	حُرًّ	٦١	٤
من أين	(يجب وضعها في العجز)	٦٣	في آخر الصفحة
لبيك	(يجب وضعها في العجز)	٦٤	٨
فلقد	فقد	٧١	٥
ىم	ثم	٧٢	١
بالجيوش	والجيوش	٧٤	١٥
رأيت	رأبت	٧٦	٣
نصالا	نضالا	٧٦	١٠

